

سياسة الأرض المحروقة ضد المغول والصليبيين
وأثرها على النشاط السياسي والعسكري
في دولة المماليك البحرية
(٥٦٤٨ هـ - ٥٧٨٤ هـ / ١٢٥٠ م - ١٣٨٢ م)

إعداد

د / فهد بن علي بن حامد الحارثي
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ في كلية الدعوة وأصول الدين
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
Bankinformation@gmail.com

تاريخ الاستلام : ٢٨/٩/٢٠٢١ م

تاريخ القبول : ١٥/١٠/٢٠٢١ م

ملخص:

تناول هذا البحث إحدى الاستراتيجيات العسكرية التي سار عليها سلاطين دولة المماليك البحرية، وقادة حملاتهم العسكرية، في أكثر من معركة حربية؛ أو تجريدة عسكرية ضد أعدائهم من المغول والصليبيين تُعرف بـ"سياسة الأرض المحروقة"، سواءً عند تقدمهم أو تراجعهم، وهي سياسة تدميرية ضد أعدائهم، تركّزت على الفرسان المقاتلين من المغول والصليبيين، وكل ما يخدم الجانب العسكري من القلاع والحصون والمحاصيل الزراعية وغيرها، ممّا حرم الأعداء من التقدم إلى البلاد الإسلاميّة، وأعاق مسيرتها العسكرية، وتحركاتها المريبة على أطراف الثغور المملوكية، فضلاً عن بئّ الرُعب بين الأعداء، وتصديع صفوفهم، وتفريق تحالفاتهم السياسية والعسكرية. ممّا كان له أفضل الأثر في قمع المغول وإيقاف غزواتهم الوحشية، وكذلك تحجيم القوات الصليبية في الشام، واسترداد البلاد الإسلاميّة من أيديهم واحدة بعد الأخرى، وطردهم من عكا آخر المعاقل الصليبية في الشام عام (٦٩٠هـ/١٢٩١م) في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون.

الكلمات المفتاحية: الصليبيون - المغول - المماليك - بيبرس - قلاوون - التدمير الشامل - الحرائق - الهدم - القتل - الإبادة الجماعية.

Abstract:

This research dealt with one of the military strategies that the sultans of the Bahriyya Mamluk State and the leaders of their military campaigns pursued in more than one war battle; or a expeditionary force against their enemies, the Mongols and the Crusaders, known as the "scorched earth policy," whether in their progress or retreat. It is a destructive policy against their enemies, focused on the fighting knights, of the Mongols and the Crusaders, and all what serves the military aspect, of castles, fortresses, agricultural crops and others, which deprived the enemies of progress to the Islamic countries, and hindered their military march, and their suspicious movements on the outskirts of Mamluks' outposts, as well as spreading terror against enemies, dispersing their ranks, and breaking up their political and military alliance, which had the best effect in suppressing the Mongols and stopping their brutal invasions, as well as limiting the Crusader Forces in the Levant, recovering the Islamic countries from their hands one after another, and they were completely expelled from Acre, the last Crusader stronghold in the Levant in the year (690 AH / 1291 AD) during the reign of Sultan Al-Ashraf Khalil Bin Qalawun.

Keywords: scorched earth - Crusaders - Mongols - Bahriyya Mamluks - Baibars - Qalawun - mass destruction - fires - demolition - war - genocide - Mamluks - Mamluk.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين
ثم أمّا بعد:

منذ قيام دولة المماليك البحرية سنة (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) وإلى زوالها سنة (٧٨٤هـ/١٣٨٢م)، وهي تهتم بعلاقاتها مع بعض الدول - خاصة دول الجوار - على سياسة تتراوح بين الدبلوماسية التي تعتمد السلام والتعاون والاحترام المتبادل مناهجاً لها، وبين العمل العسكري الذي تسير عليه اضطراراً ضد بعض الدول والكيانات التي كانت تنظر للمماليك كأعداء أقوياء يجب التخلص منهم للسيطرة على مصر وبلاد الشام.

وكانت السلطة المملوكية شديدة التّحرُّز تجاه الدول التي انتهجت سياسة التوسع وبسط النفوذ على حساب أملاكها، وأهمهم المغول الذين اعتقدوا أنّ المماليك كسابقهم من ملوك الأيوبيين المتأخرين الذين أذعنوا للغزو المملوكي، بل وساعد بعضهم المغول في محاولتهم غزو مصر بعد تدمير بغداد، كما فعل حاكم حلب الأيوبي الملك الناصر يوسف (ت٦٢٧هـ/١٢٣٠م) عندما بلغه ما فعله المغول ببغداد وما ارتكبه من قتل وتدمير وإحراق وتشريد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)؛ فحاول أن يسالم هولوكو وأرسل إليه هدية برفقة ولده الملك العزيز لتقديم واجب الولاء والطاعة، ورحب بمساعدته على غزو مصر وأخذها من المماليك، كما بادر هو وغيره من ملوك المنطقة في تسليم المغول بعض مدن بلاد الشام تودّداً إليهم وكفّاً لشّرهم^(١).

كما كانت السلطة المملوكية مصمّمة منذ قيامها على تصفية مخلفات الاحتلال الصليبي للأراضي الإسلامية في بلاد الشام، لاسيما بعد تأكدها من عمل هذه الكيانات الصليبية الباقية في المنطقة وتنسيقها مع أعداء المماليك من المغول والفرق الباطنية وغيرهما، وظهر ذلك جلياً بعد انهزام المماليك أمام المغول في معركة وادي الخازندار واحتلالهم دمشق سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)^(٢).

ولأجل هذا؛ فإنَّ سلاطين دولة المماليك لم يتوقفوا عن استخدام أقسى أنواع الوسائل والسياسات في ردِّ العدوان وردع العدو، وتصفية بقايا الاستعمار، فكانت "سياسة الأرض المحروقة" إحدى هذه الوسائل المنتهجة، إذ حققت نتائج مهمة على المستويين السياسي والعسكري. وحتى نقف على طبيعة هذه السياسة وآثارها، نُعرِّف ابتداءً بها ونذكر أبرز ملامحها:

مفهوم سياسة الأرض المحروقة وأبرز ملامحها: هي استراتيجية عسكرية قديمة تقوم على مجموعة من التدابير والاجراءات التي تهدف إلى تدمير كل ما يخدم العدو عسكرياً لتعطيمه مادياً ومعنوياً، مثل تخريب الجسور والقلاع والحصون والأبراج، وتغوير ودفن مصادر المياه من عيون وآبار، وإهلاك الزرع والضرع، فضلاً على الأسر والقتل والتشريد للأفراد والجماعات من الأعداء، وقد كانت هذه التدابير وتلك الاجراءات تُستخدم في أماكن محدّدة، سواء على أرض العدو، أو على أرض صاحب السياسة نفسه، يكون ذلك عند تقدم الجيوش أو تراجعها؛ وذلك لمنع العدو من الاستفادة منها^(٣).

وقد استخدم المماليك هذه السياسة التدميرية على حدود دولتهم مع ألد أعدائهم من المغول والصليبيين والأرمن وغيرهم، بقصد حرمانهم من كل ما يخدمهم في محاولتهم غزو الأراضي الإسلامية والاحتفاظ بها بعد احتلالها، وقد عبّر عن ذلك الخبير العسكري المملوكي - إذ كان عالماً بقيادة الجيش وترتيبه قبل المعركة وخلالها وبعدها^(٤) - عمر الأنصاري بقوله: "...، ولذلك هدم ملوك الترك (المماليك) مدن سواحل الشّام من صور^(٥) وعكّا وعسقلان وغيرها من المدن العظام خشية أن تملكها الفرنج (الصليبيون) فتتحصن بها"^(٦). وأشار إلى تلك السياسة - قبل الأنصاري - ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) وسمّاها "المناور"^(٧) والمحرقات"، وبيّن أن القادة العسكريون يحرصون على تنفيذ هذه الاجراءات خوفاً من "مباغطة الأطراف ومهاجمة النُّغور"^(٨). وذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) أن البداية الحقيقية لاستخدام المماليك لهذه السياسة كانت جهة الشّرق ممّا يلي بلاد فارس وذلك بمهاجمة الأراضي العُشبية

الخصبة وإحراقها حتى لا ترعى عليها خيل الأعداء المتربصين على ثغور الدولة لمهاجمتها، وعبر عن ذلك القلقشندي بقوله: "وكانت تلك الحقول والمراعي تقوم بكفاية خيل القوم مرعى إذا قصدوا بلادنا"^(٩).

واعتمد المماليك في تطبيق سياسة الأرض المحروقة ضد أعدائهم المتربصين عملياً وعلى أرض الواقع على مجموعة منتخبة من الرجال ذوي التدريب العالي، من ذوي البأس والشدة، والدراية والخبرة، يعملون ليل نهار دون كلل أو ملل^(١٠)، وقد اتخذوا من رؤوس الجبال والكهوف وبطون الأودية والتلال أماكن لرباطهم^(١١)، مستصحبين معهم مجموعة من الكلاب والثعالب لتنفيذ الغارات في "يوم ريحه عاصف وهوؤه زرع، تُعلّق النار موثوقة في أذنان الثعالب والكلاب، ثم تطلق الثعالب والكلاب في أثرها وقد جوّعت، فتجدّ الثعالب في الهرب والكلاب في الطلب، فتحرق ما مرّت به من الزرع والنبات، وتعلق الريح النار منه في ما جاوره، هذا إلى ما كانت تلقيه الرجال بأيديها (أي من تخريب) في الليالي المظلمة وعشايا الأيام المعتمة"^(١٢).

وكانت السلطة المملوكية تمّول هذه السياسة مالياً من خزانة بيت المال بنيابة دمشق^(١٣)؛ فقد كان ديوان الإنشاء^(١٤) بهذه النيابة الهامة يصرف لرجال هذه المهمّات الصعبة والخطيرة، المرتّبات المجزية، ويعطيهم الأموال والعطايا المعتبرة، ويضع التدابير اللازمة لنجاح هذه السياسة حتى تُجنى ثمارها وتؤتي أكلها بتقليص عدد هجمات العدو المتكررة على أطراف البلاد وثورها^(١٥).

ولا ريب أن كان لهذه الاستراتيجية بعض الآثار السياسية والعسكرية الإيجابية على دولة المماليك في مجابهتها لأعدائها، وفي كبح جماح خصومها المتربصين الفرص على حدودها الشامية الواسعة. ويمكن - في ما يلي - من خلال تأمل النصوص التاريخية والوقائع العملية إلقاء الضوء على آثار هذه السياسة المملوكية المنتهجة ضد المغول والصليبيين، وإبراز بعض نتائجها على المستويين السياسي والعسكري:

أولاً: سياسة الأرض المحروقة ضد المغول^(١٦) وأثارها السياسية والعسكرية:

ظهر المغول في العالم الإسلامي عندما قام زعيمهم جنكيزخان بحركة واسعة لغزو المنطقة، بدأها سنة (٦١٦هـ/١٢١١م) وأكملها أبنائه وأحفاده من بعده عندما اجتاحوا نهر جيحون ووصلوا إلى بلاد العراق وما حولها حتى انتهوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٧م) وأوقعوا بالمسلمين المجازر^(١٧)، ولم يكتفوا بذلك بل استمروا في زحفهم - بعد سقوط بغداد - إلى دمشق وحاولوا الاستيلاء على مصر سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)^(١٨).

قام السلطان الظاهر بيبرس^(١٩) سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، باستخدام هذه السياسة ضدَّ المغول؛ عندما وصلت أخبار عزم المغول على مهاجمة أطراف بلاد الشام، فأخذ يعمل على تجهيز بعض الإجراءات والتدابير اللازمة لعرقلة مسيرهم وشلَّ حركتهم، فكتب إلى نائبه على حلب وأخبره الخبر وحثَّه على اتخاذ التدابير اللازمة بإحراق المروج والأعشاب والأشجار والأخشاب في منطقة آمد^(٢٠) المتاخمة لمواقع المغول، حيث كان الأعداء يستفيدون من هذه المراعي لخييلهم ودوابهم أثناء تحركاتهم العسكرية ضد بلاد الشام، حيث جرت عادة ملكهم هولاكو^(٢١) أن ينزلها، فبعث نائب حلب بجماعة من الرجال أصحاب الخبرة فأحرقوا مساحة شاسعة تمتدَّ على مسيرة عشرة أيام حتى أصبحت المنطقة رماداً^(٢٢)، ثم أرسل مجموعة أخرى إلى خلّاط^(٢٣) وما جاورها فأحرقوا مراعيها، ثم - من باب الاحتراز - بعث النائب فرقة استطلاعية عسكرية تستطلع خبر طلائع المغول، وتقطع الطريق أمامهم بهجمات سريعة ومباغتة^(٢٤).

وقد عبّر كاتب ديوان الإنشاء في البلاط المملوكي ابن عبد الظاهر المصري (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م) - إذ كان على اتصال دائم بالسلطان بيبرس ومُطلع على أمور الدولة الداخلية والخارجية - عن مدى صرامة السلطان بيبرس في العناية بالجانب الاستخباراتي وتتبع تحركات أعدائه حتى يستطيع النيل منهم وتنفيذ السياسة المناسبة ضد أعدائه، فقال: "لم يزل السلطان مهتماً بأمر الأعداء، ومحترماً من مكائدهم، وآخذاً

بالحزم في أمورهم، وقُصّاده^(٢٥) لا تنقطع عن بغداد وخلاط وغيرهما من بلاد الشرق والعجم، وهو يغرم عليهم الأموال الكثيرة، لأنّ من يسافر في هذا المهام ويسخو بنفسه لا بُدَّ أن يأخذ مثل ديته^(٢٦)، ولو لا ذلك ما غرَّر أحد بنفسه، فلما أرشد الله السلطان لهذه المصلحة ترددت القصد وتعرفت بمن يطلعها على البواطن^(٢٧).

ولم تنقطع الأعمال الوحشية للمغول ضد ثغور المماليك الشامية بالرغم من سياسة الأرض المحروقة التي انتهجها ضدهم السلطان بيبرس؛ ففي جمادى الأولى سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٥م) هاجم المغول ومن حالفهم من سلاجقة^(٢٨) الروم مدينة البيرة^(٢٩)، فضربوا عليها الحصار ونصّبوا عليها ثلاثة وعشرين منجنيقاً^(٣٠) من أصل سبعين منجنيق كانت في حوزتهم، فصمدت قلعة المدينة وثبت رجالها، ثم لما بدأ التموين ينقطع عن المغول وبدأ اليأس يدبّ في نفوس فرسانهم، خرج أهل البيرة تحت ستار الظلام وهاجموا العدو ليلاً فأوقعوا بهم قتلاً، ونهبوا عتادهم وأحرقوا المنجنيقات، فلم تصمد قوات تحالف العدوان؛ ودبّ الشقاق بينهم، وتصدعت صفوفهم، وتفرقت كلمتهم، فانسحبوا خائبين بعد أن وصلتهم أخبار قدوم قوات معتبرة من المماليك^(٣١). ولم تمض أقلّ من خمس سنوات عن هذه الحادثة حتى اجتاح المغول مدينة حلب سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م)، فأحرقوا بيوتها ودورها، وخرّبوا مساجدها ومدارسها، وقتلوا وشردوا أهلها، ثم أخذوا من الأموال والغلال الشيء الكثير وعادوا إلى قواعدهم في العراق^(٣٢).

ولم يتأخر الرد المملوكي على العدوان المغولي، لاسيما بعد أن تولّى العرش المملوكي السلطان المنصور قلاوون^(٣٣)، فقد التقى الأخير بالمغول في معركة حمص سنة (٦٨٠هـ/١٢٨١م) فهزّمهم شرّ هزيمة، ولم يتردد السلطان في استخدام سياسة الأرض المحروقة عندما أمر جيشه بتتبع الفارين من فرسان المغول والمتخفين بجانب نهر الفرات، والعمل على إبادتهم بإحراق الأعشاب والأشجار في مناطق اختفائهم، فأحرقت النار من اختفى بين أشجار القصب والحلّفاء وغيرها^(٣٤). ولعل هذه السياسة القاسية كانت ردّاً على الأعمال العدائية المتكررة التي قام بها المغول ضد الثغور

الشامية في البيرة وحلب وغيرها، وتبدو هذه السياسة واضحة في تدمير كل ما يستفيد منه الخصوم ولو كانت أعشاب وأشجار يستتر خلفها العدو عن أنظار المسلمين.

وقد أشار القلقشندي إلى أنّ المماليك قد توقّفوا عن استخدام هذه السياسة ضد المغول وبتّ الجواسيس بين صفوفهم^(٣٥) بعد الصلح الذي تمّ بين الطرفين في عهد السلطان قلاوون الذي تصالح مع نظيره المغولي أحمد تاكودار^(٣٦) سنة (٦٨١هـ/١٢٨٢م)^(٣٧)، حيث بعث الملك المغولي سفارة دبلوماسية إلى البلاط المملوكي بالقاهرة يُخبر بأنه أصبح ملكًا على المغول وأنّه اعتنق الدين الإسلامي، طالبًا التوقف عن بثّ العيون والجواسيس داخل بلاده^(٣٨)، ويحثّ على اجتماع الكلمة وإخماد الفتن والحروب التي كانت قائمة بين أسلافه والمماليك^(٣٩). وكان المغول في ذلك العام (أي سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م) قد ألقوا القبض على مجموعة من جواسيس السلطان المملوكي في بلادهم، كانوا متكررين في زي دراويش الصوفية^(٤٠). وقد قبل السلطان قلاوون العرض المغولي وأرسل مع السفارة المغولية الراجعة إلى بلادها رسالة وُدّ وتهنئة للسلطان تاكودار على اعتناقه الإسلام وعمله على تحقيق السلام، ولكن مع نوع من العتاب الخفي^(٤١). ربّما ذلك لعدم ثقة السلطة المملوكية بالمغول الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام؛ ودماء ضحاياهم من المسلمين لم تجفّ بعد.

ولم يخبّ ظنّ السلطان قلاوون في أعدائه من المغول؛ فبعد قرابة عشرين سنة على هذا الصلح، وتحديدًا مطلع سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م)، استغلّت القيادة المغولية الاضطراب السياسي في القاهرة، والصراع على العرش المملوكي، فتحرّك ملكهم غازان^(٤٢) من بلاد فارس قاصدًا البلاد الشامية في جيش كبير من الفرسان^(٤٣)، ضمّ - إلى جانب من المغول - مقاتلين من الكُرَج^(٤٤) والأرمن^(٤٥) وغيرهما، فالتقى الطرفان في ربيع الأول من ذلك العام، فكسر المغول جيش المماليك في معركة وادي الخازندار، وتقدّموا تجاه ضواحي مدينة دمشق، واستخدموا أسلوب الأرض المحروقة ضد أهالي الصالحية^(٤٦) في سفح جبل قاسيون، فنهبوا الغلال والذخيرة، وقتلوا وسبّوا

أكثر من ثمانية آلاف ضحية^(٤٧)، فخرج الناس من مدينة دمشق وهم في خوف شديد، وتشتتوا في رؤوس الجبال وفي القرى المجاورة، ومنهم من فرّ إلى الديار المصرية^(٤٨)، ولما دخلت القوات المغولية مدينة دمشق، قاموا بالتهب والقتل والأسر دون تمييز بين صغير أو كبير، شيخ مسنّ أو امرأة عجوز، ودخلوا الجامع الأموي واتّخذوه موضعاً لشرب الخمر، وممارسة الفساد والفجور^(٤٩)، وهدموا الأسواق المجاورة للجامع بعد نهبها، كما شرعوا في هدم العمائر والمباني الصغيرة، وأشعلوا النيران في الأسواق والمدارس المساجد والقصور، ثم أخذوا في طلب المال من الأهالي والأعيان والتجار عنوة ودون رحمة^(٥٠)، فألقوا القبض على مجموعة من التجار وعدّبوهم لأجل ذلك^(٥١)، وكثّر القتل والنهب في ضواحي دمشق حتى قيل أنه قُتل من الجند والفلاحين والعامّة نحو المائة ألف إنسان^(٥٢)، وقد وصف الذهبي - وكان من شهود العيان - هذه المأساة بقوله: "...، ومشى الناس في تلك النواحي وقد بقيت بلاّع^(٥٣) من الحريق والخراب وذهاب الأبواب والشبابيك"^(٥٤).

والملاحظ مما سبق ذكره، أن المماليك لما استخدموا سياسة الأرض المحروقة ضد أعدائهم من الغزاة المغول، كانت هذه السّياسة موجّهة ضدّ المقاتلين والجنود وحملة السّلاح منهم، كما أنها كانت نوعاً من الدفاع عن النّفس والعرض والأرض ضدّ المعتدين، إلّا أنّ المغول استخدموا هذه السّياسة ضدّ الأهالي الأمنيين من المدنيين والتجار من الشاميّين وغيرهم، وصبغوها بعمليات إجرامية من قتلٍ وأسْرٍ وتعذيبٍ للأبرياء، وهدمٍ وإحراقٍ وتدنيّسٍ للجوامع والمساجد والأسواق والمدارس والمنازل، فلم تُحقّق الطريقة المغولية للأرض المحروقة آثارها السّياسية والعسكرية المنشودة، في حين حقّقت الطريقة المملوكية ذلك عندما عزّزت وضعها السّياسي بطلب المغول للصّح والتفاوض، وعزّزت وضعها العسكري بما ألقته في نفوس الأعداء المجاورين لحدودها من الرّعب والترّيث عند الإقدام على أيّة حماقة عسكرية مستقبلاً.

ثانياً: سياسة الأرض المحروقة ضد الصليبيين وأثارها السياسية والعسكرية:

قام السلطان بيبرس بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة ضد الصليبيين في البلاد الشامية عام (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) في سلسلة من الهجمات المركزة والمحددة، بدأها بيبرس وسار السلاطين المماليك على نفس السياسة التي انتهت بتصفية الوجود الصليبي في المشرق الإسلامي سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون، باسترداد آخر معاقلهم في عكا. ولعلّ أبرز هذه الهجمات استخدمت سياسة الأرض المحروقة، نذكر منها:

أولاً- شنّ السلطان بيبرس هجوماً مباغتاً على مدينة عكا^(٥٥) في جمادى الثانية سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م)، وكان بصحبته كبار الأمراء والفرسان^(٥٦)، فنزل بها من جهة البرّ، وأمر بردم الخنادق التي حفرها الصليبيون على وجه السرعة، ثمّ اقتحم الجنود الخنادق فهرب العدو تجاه المدينة؛ فلقق بهم الجنود وأوقعوا بهم قتلاً وأسراً، وقذفوا بهم في الخنادق ردماً^(٥٧)، وأحرقوا ما حول عكا من الأبراج والأسوار، وقطعوا الأشجار وحرّقوا الثمار، فلا يرى الناس إلا دخاناً أو عجاجاً^(٥٨)، أو سيوفاً لامعة وأسنة قاطعة^(٥٩). وفي طريق عودة السلطان إلى الديار المصرية، عبر بقواته العسكرية بلدة الناصرة^(٦٠) وأمر بإحراقها وهدمها^(٦١). وصفوة القول أنّ القوات المملوكية عادت بعد حملة شرسة دمّرت خلالها ما استطاعت حول عكا، وعادت دون استرداد المدينة لمناعتها وقوّة تحصيناتها.

ثانياً- بالمؤازاة مع الحملات على عكا، أرسل السلطان بيبرس في شوال سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) - بعدما استقرت الأوضاع في نيابة حلب - مجموعة من كبار الأمراء لشن هجوم على معقل الصليبيين بإنطاكية^(٦٢)، فأغاروا على المنطقة، وأوقعوا الصليبيين بين أسرٍ وقتل، وقاموا بإحراق غلالهم ومراكبهم، ثمّ عادوا إلى قواعدهم في رمضان من العام التالي ومعهم الأسرى، وكثير من حواصل إنطاكية وخيراتها^(٦٣).

ثالثًا - هاجمت قوات المماليك العسكرية مدينة قيسارية^(٦٤) وقلعتها، وذلك في جمادى الأولى سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) حيث اقتحم الجنود قلعتها بالدبابات^(٦٥)، ورموها بالنشاب، حتى عجز الصليبيون عن الدفاع عنها؛ فهربوا منها، فدخل المسلمون المدينة وهدموا قلعتها وأسوارها ومبانيها - بعد نهبها - ولم يبرحوا حتى جعلوها دكًا؛ وقد تساوت بالأرض^(٦٦). ويبدو أنَّ عزيمة السُلطان كانت واضحة لتطبيق هذه السياسة المدمرة عمليًا، وفي عزم أكيد على متابعة المماليك لسلسلة هجماتهم المباغته ضد الصليبيين في بلاد الشَّام.

رابعًا - بعد تدمير قيسارية، هاجمت قوات السُلطان بيبرس في أواخر جمادى الأولى سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) قلعة عثليث الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط؛ بين مدينتي حيفا وقيسارية، والتي كانت تُعرف بالحصن الأحمر، فأمر قواته بتخريب القرية الواقعة خارج السُّور، ففُطعت أشجارها، وهدمت أبنيتها، وأنزل الرُّعب في قلوب فرسانها، غير أنه لم يتمكن من اقتحامها فتركها وعاد إلى قيسارية مرَّة ثانية لاستكمال هدمها وتخريبها^(٦٧). ويبدو أنَّ السُلطان لم تقتصر قواته على التدمير والتخريب؛ وإنَّما كان لها دور في الاطلاع على المعلومات السرية عن القوَّات الصَّليبية داخل القلاع والحصون، وعن التموينات الغذائية أيضًا.

خامسًا - بعد أن وصلت الأخبار إلى القاهرة بأن صاحب طرابلس جمع خيله ورجاله، واستجد بالفرسان الداوية والأسبترية^(٦٨) قاصدًا حمص في صفر (سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م)، وأنَّ النائب بها الأمير الباشقردى قد كسر شوكتهم، وتتبع أثرهم قتلاً ونهبًا، حتى وصل إلى بلادهم^(٦٩). أرسل السُلطان بيبرس في رمضان - من هذا العام - حملة عسكرية للهجوم على قلعة صغد الاستراتيجية، فحاصرها المسلمون وضيَّقوا على الصليبيين الحصار حتى طلبوا الأمان، فأمنهم السُلطان على شرط أن يُسلِّموا السِّلاح والمال ولا يُتلفوهما^(٧٠)، ولكن عندما أصبحوا بين

يدي السلطان فُتِّشوا فوجدوا معهم ما ينقض العهد والأمان من مال وسلاح، وعن عددٍ من أطفال المسلمين كانوا برفقتهم بدعوى أنهم أطفال نصارى، فأمر السلطان بتنفيذ سياسته بضرب أعناقهم لنقضهم العهد وردعاً لأمثالهم من الصليبيين^(٧١).

سادساً - وفي شعبان سنة (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) انطلق السلطان إلى عكا وكانت تحركاته في سرعة وسرية تامة، ولم يشعر الفرنج به إلا بعد وصول الحملة العسكرية على أبواب عكا المنيعه؛ فقسم الرجال في مهام متعدده فهدمت الآبار والأبنية، وقطعت الأشجار، وأحرقت الثمار، ومكث السلطان يشرف على هذه الأعمال بنفسه لمدة أربعة أيام، ولم يبرح المكان ليلاً ونهاراً حتى أكمل المهام وأصبحت الأبنية أكواماً والبساتين والأشجار رماداً^(٧٢)، "وحين اكتمل الإحراق والهدم، قطع الأشجار، وسير إلى طاحون كردانة التي لببت الأسبتار هدمها، وألقيت النيران في جميع تلك الأشجار"^(٧٣). ولعل صدق هذه الغارة كان له أثراً أصاب قلوب الأسبترية في حصن الأكراد والمرقب، ففي شهر رمضان من السنة نفسها طلبوا الصلح والمهادنة في محاولة لدفع غارات السلطان المتتابة، فصالحهم "وتقررت الهدنة لعشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشر ساعات"^(٧٤). كما وصلت سفارة الفرنج من صور وأحضروا مجموعة من الأسرى المسلمين، وقدموا نصف دية لرجلٍ قتلوه فدرت بخمسة عشر ألف دينار؛ والنصف الآخر، تم تأجيله إلى وقت معلوم، فتم الصلح، وكتب الهدنة بين الطرفين لمدة عشر سنوات؛ شملت صور وما جاورها من البلاد^(٧٥).

سابعاً - لما اشتد أذى الصليبيون في يافا^(٧٦) ضد جيرانهم من المسلمين، وظهر اجتهاد أهلها في إمداد إخوانهم الصليبيين في الشام المحاربين^(٧٧)، أمر السلطان بيبرس في جمادى الآخرة سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٨م) بشن هجوم على مدينة يافا، فضرب عليها الحصار ثم ملكها المسلمون عنوة وأخرجوا من فيها من الأهالي، وهدمت

قلعتها، وأخذت أحشابها، ورخامها؛ إلى القاهرة للاستفادة منها^(٧٨). وفي الشهر التالي أمر السلطان بمهاجمة أقوى قلاع الصليبيين في المنطقة وأشدّها ضرراً على المسلمين وهي قلعة الشقيف^(٧٩)، فحاصرها المسلمون وشدّوا عليها الحصار، فلما عجز الصليبيون عن الدفاع عنها استخدموا سياسة الأرض المحروقة، "فخربوا بيوتهم بأيديهم، وحرّقوا حواصلهم، وهرب البعض وقتل البعض"^(٨٠)، فدخلها المسلمون وأمر السلطان بهدم بناء القلعة المستجدّ من طرف الصليبيين، وترميم القلعة القديمة وشحنها بالرجال والعدّة والعتاد^(٨١). ثم واصل السلطان ببيرس هجومه على الصليبيين بحسب المعلومات التي كانت تصله من جهاز مخابراته، فهاجم طرابلس^(٨٢) التي كانت من أقوى الإمارات الصليبية في بلاد الشام^(٨٣)، فسيطر المسلمون على أحد أبراجها وأسروا مجموعة من الرّجال، ثم قطعوا الأشجار في ضواحيها وهدموا الكنائس ودمّروا قنوات المياه^(٨٤)، وانسحب الجيش الإسلامي متوجّهاً إلى إمارة إنطاكية فتّم حصارها برّاً وبحراً^(٨٥) لأيام، ثم أمر السلطان بالهجوم على المدينة، فتسلّق الجنود الأسوار وهرب رجال الحامية الصليبية، وتحصنوا بالقلعة العظيمة، ثم أرسلوا في طلب الأمان مقابل التسليم بعد أن نفذ الغذاء والدواء منهم، فتسلّم السلطان المدينة والقلعة، وكانت الغنائم من الأموال والأسرى لا تُعدّ ولا تُحصى من كثرتها^(٨٦). وللحيلولة دون استرجاع الصليبيين لإنطاكية، لاسيما وأن أميرها بوهمند السّادس كان مقيماً في طرابلس وكان لا يزال يحتفظ بقوة لا يُستهان بها، أمر السلطان قواته بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة ضد هذه المدينة المنيعّة بعد أن حُصرت الغنائم وتمّ توزيعها، فحُرقت القلعة وهدّمت كنائس المدينة الشهيرة^(٨٧). وأرسل السلطان ببيرس رسالة شماتة إلى أميرها بوهمند يُخبره بسياسة الأرض المحروقة التي استخدمها ضد إنطاكية، وكان مما ورد فيها قوله: "وها نحن نُعلمك بما تمّ، ونُفهمك بالبلاء الذي عمّ...، فلو رأيت خيالتك وهم صرعى تحت أرجل الخيل، وديارك والنّهابة فيها تصول، والكسّابة فيها تجول، وأموالك وهي توزن بالقنطار،

وإمءاك فكل أربع منهن تباع فتشترى من مالكٍ بدينار، ولو رأيت كنائسك وصلبانها قد كسرت ونشرت ...، ولو شاهدت النيران وهي في قصورك تخرق، والقتلى بنار الدنيا قبل نار الآخرة تحترق"^(٨٨).

ثامناً - توجّه السلطان بيبرس في صفر (٦٦٩هـ/١٢٧٠م) في مهمّة سريعة لتنفيذ سياسة الأرض المحروقة ضدّ مدينة عسقلان^(٨٩) بالرغم من أنها مدينة مملوكية، حيث شارك جنوده في هدم ما تبقى من قلعتها وتدمير أسوارها خوفاً من تحرك القوى الصليبية بالبلاد الشامية وتحالفهم مع صليبيّي الغرب الأوربي للاستيلاء عليها عنوة وتحصينها لضرب المسلمين^(٩٠). لذلك قام السلطان بتنفيذ سياسة الأرض المحروقة ضد مدينة إسلامية عريقة^(٩١) للحيلولة دون استفادة العدو من حصانتها فيتخذها قاعدة لمهاجة المسلمين.

وفي شوال من نفس العام توجه السلطان بجيشه إلى حصن القرين المنيع، وكان به مجموعة من الفرسان الألمان الذين شكّلوا خطراً جاثماً على مدينة صفد^(٩٢)، فحاصرهم المسلمون لأيام ونقّبوا عليهم الحصن من كل جانب، فطلب الصليبيون الأمان فأمنوا، ثم هُدم الحصن، وأقاموا على هدمه اثني عشر يوماً^(٩٣).

تاسعاً - بعد وفاة السلطان بيبرس سنة (٦٧٦هـ/١٢٧٧م) توقفت الأعمال العسكرية ضد الصليبيين لأشهر بسبب الصّراع على العرش في القاهرة^(٩٤)، ولكن سرعان ما استأنفها السلطان المنصور قلاوون، فهاجم سنة (٦٨٤هـ/١٢٨٥م) حصن المرقب لنقض فرسان الإسبتارية الهدنة وشروط الصّلح، فحاصرهم المسلمون لأيام، ونقّبوا عليهم الأسوار وحفروا تحت الأبراج، فطلب الفرسان الأمان، فأمنهم المنصور وأجلاهم إلى طرابلس^(٩٥). وبفضل هذا الفتح، سلّم صاحب طرابلس حصن مرقية، فقام المسلمون بهدمه حتى لا يسترجعه العدو مرة أخرى^(٩٦). ولم تمض أقلّ من أربعة سنوات حتى جهّز السلطان قلاوون العدة وخرج لاستعادة إمارة طرابلس في صفر سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م)، فضرب عليها الحصار لأكثر

من شهر^(٩٧)، ثم دخلها المسلمون في ربيع الآخر عُنوة بعد أن هُدمت أسوارها، وأُحرقت بالنار أسواقها، وسُوِّيت المدينة بالأرض^(٩٨)، ووقع الصليبيون بين أسير وقتيل وغريق^(٩٩).

عاشراً- وعلى خطى السلطان المنصور العسكرية الهجومية ضدَّ الصليبيين، عزم السلطان الأشرف خليل^(١٠٠) - وكان بطلاً لا يكلّ من الحروب ليلاً ولا نهاراً^(١٠١) - في صفر سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م) على استئصال شأفة الصليبيين في المشرق الإسلامي بفتح آخر قواعدهم في إمارة عكا، فأصدر أوامره إلى نوابه في البلاد الشامية بتجهيز آلات الحرب والقتال، وأعلن التغير العام في أرجاء الدولة جميعها، فوصلت الجيوش بعكا في ربيع الآخر، ونُصبت عليها المنجنقات من كل ناحية، وكان عددها اثنين وتسعين منجنقاً^(١٠٢)، وضيق المسلمون على أهلها غاية التضييق برّاً وبحراً^(١٠٣)، وكان عدد القوات الإسلامية ستون ألف فارس، ومائة وستين ألف راجل^(١٠٤). وبعد أيام من الحصار والقتال الشديد، حصل الزحف على المدينة في جمادى الآخرة فوق فرسان عكا وأمرائها وكبار رجالها بين قتل وأسير، وأضرمت النيران في الأبراج العصية فتهدمت؛ وتهدمت أسوارها الحصينة، ورُدمت خنادقها^(١٠٥)، وأمر السلطان بالصليبيين فضربت أعناقهم، وبالمدينة فهُدمت ووقع خرابها^(١٠٦). وكان هذا التخريب للمدينة للحيلولة دون عودة الصليبيين في الغرب إلى بلاد الشام في حملة صليبية جديدة لاسترجاع معقلهم الأخير بالشرق الإسلامي.

ولو تأملنا الأحداث السابقة التي خاضها المماليك ضد أعدائهم من الصليبيين، لوجدنا لسياسة الأرض المحروقة التي انتهجوها الكثير من الآثار السياسية والعسكرية المنشودة والتي خدمت مصالح المماليك سياسياً وعسكرياً، ويمكن ذكر أبرز هذه الآثار في ما يلي:

- بعد حملات السلطان بيبرس العسكرية القويّة واعتماده على استراتيجية الرّعب والخفّة وسرعة الحركة، واستخدامه لسياسة هدم القلاع وتخريب المدن وتدمير الممتلكات وحرقتها وإهلاك الزرع والضرع، أُسْرِعُ أمراء الممالك الصّليبية وكبار قادة العدوان على خطبِ وُدِّ السُّلْطَانِ وطلب الصُّلْحِ والمهادنة، ويظهر ذلك تحديداً بعد الهجوم المملوكي على عكا وإنطاكية سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م).
- بعد الهجوم المملوكي على قيسارية سنة (٦٦٣هـ/١٢٦٥م) واستخدامهم لسياسة الأرض المحروقة ضد أهلها، دبّ الخوف في صليبيي حيفا فلم يصمدوا أمام الحملة العسكرية التي جرّدها السلطان عليهم، فهربوا بالمراكب عن طريق البحر طلباً للنجاة، ودخل المسلمون المدينة فأحرقوها وعادوا بمن بقي من الأعداء أسرى وبرؤوس القتلى والغنائم سالمين، وكل ذلك كان في يوم واحد^(١٠٧).
- بعد الهجوم المملوكي على حصن الأكراد وفتح قلعة صفد الاستراتيجية سنة (٦٦٤هـ/١٢٦٥م)، وهجومهم على أماكن صليبية عديدة من طرابلس إلى أرسوف^(١٠٨)، وكانت هجمات سريعة ودامية، وقع الرعب في قلوب الصليبيين، فقدم رسول فرسان الإسبتارية في عكا، ورسول صاحب بيروت، ورُسل الباطنية من الإسماعيلية^(١٠٩)، ورسول صاحب يافا وصهيون^(١١٠) وصور، على السُّلْطَانِ بيبرس لطلب الصُّلْحِ، فردّهم ولم يُعْطِهم ما أمْلَوْهُ^(١١١).
- عملت هذه الهجمات المملوكية على إضعاف رأس حربة الصّليبيّين في صراعهم ضد المسلمين، وهم فرسان الدّاويّة والإسبتارية، حيث أصبحت هذه المنظمات العسكرية في موقف الضّعف والدُّلّ والهوان، فتنازلت للمماليك اضطراراً عن الجزية السنوية التي كانت تُؤخذ من الإسماعيلية في قلاع الدعوة، وحماة، وأفامية، وشيزر، فضلاً عن اعترافهم بقوة دولة المماليك المتزايدة^(١١٢).

- استرداد إنطاكية في شعبان سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٨م) – حيث كانت أول إمارة أسسها الصليبيون في المشرق الإسلامي – أصيب الصليبيون بصدمة مرعبة شلّت قواهم وقلّصت تحركاتهم، وأخذ فرسان الدّاويّة في الانسحاب وترك الحصون والقلاع في المنطقة لإدراكهم استحالة الاحتفاظ بها، ولم تبق إلا بعض المدن والحصون الصغيرة التي أنشأت علاقات طيّبة بالسلطة المملوكية في القاهرة رغبا ورهبا^(١١٣).
- كان لاستعادة إمارة طرابلس في ربيع الآخر سنة (٦٨٨هـ/١٢٨٩م) أثره السياسي والعسكري المبارك على المماليك، فقد مهّد هذا الفتح للزحف على ما تبقي من المدن الصليبية في الشام وعلى رأسها مدينة عكا، كما دفع ببعض ملوك الغرب الأوروبي إلى مراسلة السلطنة المملوكية وطلب وُدّها^(١١٤).
- بعد استرداد المماليك لعكا في (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، أقوى معاقل الصليبيين بالشرق؛ وقع الخوف في قلوب من بقي من الصليبيين في عثيث وبيروت وصيدا وصور وغيرها من بقايا معاقلهم القليلة، فأرسلوا الرّسل لبذل الطاعة وطلب الأمان وتسليم ما بأيديهم، "فخلا السّاحل من فارسهم والرّاجل، وأصبح كل مقيم به وهو راحل"^(١١٥). وقد أعاد هذا الانتصار العظيم للمسلمين هيبتهم ومكانتهم أمام الصليبيين في الغرب الأوروبي، فوجّهوا أنظار حملاتهم الصليبية نحو المغرب الإسلامي، وهابوا الرجوع إلى مشرقه مرة أخرى.

الخاتمة:

بعد العرض والتحليل لسياسة الأرض المحروقة ضد المغول والصليبيين وأثرها على النشاط السياسي والعسكري للمماليك، نسوق في ما يلي أبرز النتائج التي أمكن استخلاصها من هذه الدراسة، وهي كالتالي: - عُرِفَت سياسة الأرض المحروقة بأنها تلك الاستراتيجية العسكرية التي تهدف إلى تدمير مُقدّرات العدو وتخريب ممتلكاته لتعطيمه مادياً ومعنوياً.

- اعتمدت السلطة المملوكية في علاقاتها مع بعض الدول - خاصة دول الجوار - على سياسة تتراوح بين الدبلوماسية التي تعتمد السلام والتعاون والاحترام المتبادل منهاجاً لها، وبين العمل العسكري الذي تنتهجه اضطراراً ضد بعض الدول والكيانات التي كانت تنظر للمماليك كأعداء أقوياء يجب التّخلص منهم للسيطرة على مصر وبلاد الشام.

- لم تتوان السلطة المملوكية عن استخدام أقسى أنواع الوسائل في ردّ وردع العدوان وتصفية بقايا الاستعمار، فكانت هذه السياسة إحدى الوسائل المنتهجة، وقد حقّقت بفضلها نتائج كبيرة على المستويين السياسي والعسكري.

- استخدم المماليك هذه السياسية التدميرية على حدود دولتهم مع ألدّ أعدائهم من المغول والصليبيين والأرمن وغيرهم، بقصد حرمانهم من كلّ ما يساعدهم على غزو الأراضي الإسلامية والاحتفاظ بها بعد احتلالها.

- مؤلّت السلطة المملوكية سياسة الأرض المحروقة ضد المغول والصليبيين من خزانة بيت المال بنيابة دمشق، حيث كانت الميزانية المالية المخصّصة لها كبيرة لخطورة هجمات العدو المتكررة على أطراف البلاد الشامية وثغورها.

- كان السلطان بيبرس أكثر ملوك المماليك استخداماً لهذه السياسة لردّ وردع العدوان المغولي وتصفية الاستعمار الصليبي في بلاد الشام.

- استخدم المماليك هذه السياسة ضد المقاتلين وحملة السّلاح من الغزاة المغول كنوع

- من الدفاع عن الوطن والرعية، في حين استخدمها المغول ضد الأهالي الأمنيين والتجار المسالمين من سكان بلاد الشام خاصة.
- أعطت هذه السياسة بعض الآثار السياسية والعسكرية الإيجابية على دولة المماليك في تصديها لأعدائها المتربصين الفرص على حدودها الشامية الواسعة الأطراف.
- بالرغم من هذه السياسة التي انتهجها المماليك ضد المغول، فإن المغول بدورهم استخدموا سياسة الأرض المحروقة ضد المماليك في بلاد الشام، ويظهر ذلك خاصة في هجومهم على مدينة حلب سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م)، ثم على مدينة دمشق سنة (٦٩٩هـ/١٢٩٩م).
- حاول المغول بعد إسلام سلاطينهم كسب ودّ المماليك وإبرام الصلح معهم، إلا أنّ السُلطة المملوكية لم تكن تثق بهم بسبب طبعهم الوثني وحادثة عهدهم بالإسلام وطموحهم المتزايد في السيطرة على أراضي الدولة المملوكية.
- كانت السُلطة المملوكية مصممة منذ قيامها على تصفية مخلفات الاحتلال الصليبي للأراضي الإسلامية في بلاد الشام، لاسيما بعد تأكدها من عمل هذه الكيانات الصليبية الباقية في المنطقة وتنسيقها مع أعداء المماليك من المغول والفرق الباطنية وغيرهما.
- صعد المماليك من سياسة الأرض المحروقة ضد الصليبيين في ما تبقى لهم من معاقل في بلاد الشام، ودامت هذه السياسة أكثر من ثلاثين عام حتى أُنْتُ أكلها باسترداد عكا سنة (٦٩٠هـ/١٢٩١م).
- اتّبع المماليك في تطبيق هذه السياسة ضد الصليبيين على هدم القلاع ونسف الحصون وتخريب المدن المسترجعة منهم، والحيلولة دون عودة إخوانهم من صليبيّ الغرب الأوروبي إلى بلاد الشام وإعادة احتلال قلاع ومدن المسلمين.
- عملت سياسة الأرض المحروقة ضد الصليبيين على بثّ الرعب والهلع في نفوس قادتهم، فأسرعوا إلى خطب ودّ السُلطة المملوكية وطلب الصلح والمهادنة، بل فعل ملوك الغرب الأوروبي كذلك، بعد إدراكهم قوة الدولة المملوكية.

الهوامش

(١) انظر عن هذه الأحداث: رشيد الدين الهمداني: فضل الله بن عماد الدولة (ت١١٨٠هـ/١٣١٨م): جامع التواريخ (أوتاريخ غازان خان)، ترجمة ودراسة: فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، (٣٠٧/٢)؛ ابن كثير: إسماعيل بن عمر دمشقي (ت١١٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملح، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، (٩/١٥٥-١٦٠).

(٢) أشار إلى هذا التعاون الثلاثي (المغولي - الصليبي - الباطني) شيخ الإسلام ابن تيمية في فتاواه الشهيرة. انظر: مجموعة الفتاوى، مراجعة: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط٢، ٢٠٠١م، (٣٤٦/٢٨). وسيأتي تفصيل هذه المعركة عند الحديث عن سياسة الأرض المحروقة ضد المغول في ثنايا هذا البحث.

(٣) عن ملامح هذه السياسة للأرض المحروقة بشكل عام، انظر: ابن القلانسي: حمزة بن أسد التميمي (ت١١٦٠هـ/١١٦٠م): نيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار الإحسان، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٤٦٣؛ ابن الأثير: علي بن محمد الشيباني (ت١٢٣٢هـ/١٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م، (٨٩/٥)؛ علي محمد الصلابي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص٢٤٩.

(٤) خير الدين الزركلي: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م، (٣٩/٥).

(٥) صور: مدينة قديمة على السّاحل الشرقي للبحر المتوسط، تقع جنوبي مدينة بيروت، وكانت منذ القدم مركزاً تجارياً مهماً. الحموي: ياقوت بن عبدالله الرومي البغدادي (ت١٢٢٨هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، (٢١٠/٥).

(٦) الأنصاري: عمر بن إبراهيم الأوسي (ت نحو ٨١٥هـ/١٤١٢م): تفريخ الكروب في تدبير الحروب، تحقيق: جورج سكانلون، (د.ط)، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، ص٩٣-٩٤.

(٧) المناور: أي المنائر؛ جمع منارة، وهي شعلة النار التي بها يتم التحريق، لأن المنارة هي التي يؤذن عليها، وتُطلق كذلك على ما يوضع فوقها السراج. انظر: الجوهرى: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار القلم، دمشق، ط ٥، ١٩٩٩م، (٢/٢٥٠).

(٨) ابن فضل الله العمري: أحمد بن يحيى الدمشقي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص ٢٦١.

(٩) القلقشندي: أحمد بن عليّ المصري (ت ٨٣١هـ/١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م، (١٤/٤٤٨).

(١٠) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٦١.

(١١) ذكر ابن فضل الله العمري بعض مواضع الرباط ومواقع تنفيذ هذه الهجمات (المحرقات) في عهده، بأن أولها كان بأرض النُّعْمة وما جاورها من البلاد مروراً ببلاد نينوى (الموصل) وتنتهي بأعالي جبل سنجار وما حوله من البلاد. التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٦١. وما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن القيادة المملوكية قد استخدمت هذه السياسة في أكثر من موضع ومع أكثر من عدو وفي أزمنة مختلفة.

(١٢) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٦١.

(١٣) نيابة دمشق: النيابة هي التي يعبر عن صاحبها بالنايب الكافل، وهو يحكم في ما يحكم فيه السلطان، لذلك فهو سلطان مختصر في نيابته. وكانت بلاد الشام مقسمة إلى ستّ نيابات، أقواها نيابة الشام أو دمشق، ونائبها لا يقل رتبة عن نائب السلطنة بالقاهرة. القلقشندي: صبح الأعشى، (٧/١٦٦).

(١٤) ديوان الإنشاء: هو ديوان الرسائل الذي يتولّى تحرير كُتُب الخليفة (أو السلطان) وأوامره إلى الولاة والقواد وكبار الموظفين، وتحرير كُتُب التقليد والرسائل السياسية. وأصل تسميته مأخوذاً من الإنشاء والابتداء. القلقشندي: صبح الأعشى، (١/٨٤).

(١٥) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٦١.

(١٦) المغول: أو التتار؛ وهم جنس من قبائل وسط آسيا كانوا يسكنون بجنال طغماج من أطراف الصين (منغوليا) فتوحدوا بقيادة ملكهم "تيموجين" والمعروف بـ: جنكيزخان الذي كان من أشجعهم وأصبرهم على القتال. أحمد معمور العسيري: موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢١٦، ٢٨٤.

(١٧) ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد الصابوني (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٢م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٣٥٣.

(١٨) ابن كثير: البداية والنهاية، (١٣/٩٤).

(١٩) هو الملك الظاهر أبو الفتوح ركن الدين بيبرس بن عبد الله العلائي البندقداري الصالحي النجمي الجركسي. كان من خواص مماليك السلطان الملك الصالح نجم الدين الأيوبي ثم صار أتباعاً للعساكر بمصر في عهد السلطان الملك المظفر قُطرز، حيث قاتل معه المغول بعين جالوت ثم اتفق مع أمراء الجيش على قتل قطز فقتلوه وتولى هو السلطنة سنة ٦٥٨هـ/١٢٥٩م. توفي بدمشق في المحرم سنة ٦٧٥هـ/١٢٧٦م، وله من العمر ٥٤ سنة. ابن الوردي: عمر بن مظفر الدمشقي (ت ٧٤٩هـ/١٣٧٨م): تاريخه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، (٢/٢٢٤)؛ الصفدي: خليل بن أبيك المصري (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): أعيان العصر وأعوام النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨م، ص٣٢٢.

(٢٠) آمد: مدينة على نهر دجلة في ديار بكر قرب ميافارقين، يُنسب إليها كثير من العلماء. وهي في عصرنا الحاضر من بلدان تركيا. ابن شداد: محمد بن علي الحلبي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م): الأعلام، الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ط)، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، (١/٦٥)؛ الحموي: معجم البلدان، (١/٥٦).

(٢١) هو هولوكو بن تولي بن جنكيزخان المغولي. أكبر ملوك المغول من ذرية جنكيزخان. كان شجاعاً حازماً، ذا همّة عالية وخبرة بالحروب، ومحبة في العلوم العقلية، غير متقيد بدين. استولى على بلاد خراسان وفارس وأذربيجان وعراق العجم وعراق العرب والشام والجزيرة والروم وديار بكر، وأباد الملوك وقتل الخليفة العباسي المستعصم وأمراء العراق والشام. توفي بمرارة بعلّة الصرع

في ربيع الآخر سنة ٦٦٤هـ/١٢٦٥م، وكان له من العُمر ٦٠ سنة، وكانت مدة حُكمه نحوًا من أربعين سنة. ابن العبري: غريغوريوس بن أهارون الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٩٣؛ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص ٣٥٣.

(٢٢) المقرئزي: أحمد بن عليّ المصري (ت ٨٤٥هـ/١٤٦١م): السُّلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، (١/٥٤٤).

(٢٣) خِلَاطُ: مدينة كبيرة، معروفة ومشهورة، تُعدُّ قسبة أرمينية الوسطى. ياقوت الحموي: معجم البلدان، (٢/٣٨٠).

(٢٤) ابن عبد الظاهر: عبد الله بن رشيد الدين السعدي (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م): الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م، ص ١٣٦؛ ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، ص ٢٦١.

(٢٥) القاصد: مصطلح كان يطلق على الرسول المبعوث أو السفير، وتُجمع على قصاد. والمقصود من كلام ابن عبد الظاهر في النص أعلاه هم جواسيس السلطان بيري. انظر: حسان حلاق وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية؛ المصطلحات الإدارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٩٩م، ص ١٦٨.

(٢٦) أي قيمة دية قتله، لأن العمل التّجسّسي يُعرّض صاحبه لمخاطر جمة، على رأسها القتل.

(٢٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ١٣٥.

(٢٨) السلاجقة: هم جمهرة من القبائل التركية الرحل المحاربة التي كانت مستقرة في الصين ثم انتقلت منها إلى بخارى حيث اعتنقت الاسلام في عهد مؤسسها سلجوق ثم استطاعت هذه القبائل تحت زعامة السلطان طغرل بك (ت ٤٥٤هـ/١٠٦٣م) السيطرة التدريجية على أملاك الدولة الغزنوية ثم الدخول إلى بغداد بناءً على طلب الخليفة العباسي الذي عين طغرل بك سلطانًا وخطب باسمه سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م ولقّبه بـ "ملك المشرق والمغرب" وزوّجه ابنته. عبد الرحمن نواف أحمد: الموجز في التاريخ الإسلامي، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١٥م، ص ٢١٠.

(٢٩) البيرة: بلد قرب سميساط بين حلب والثغور الرومية، وهي قلعة حصينة ولها رستاق واسع.
الحموي: معجم البلدان، (١/٦٢٤).

(٣٠) المنجنيق: آلة من الخشب الجيد لها دفتان قائمتان بينهما عمود طويل يقال له السهم، رأسه ثقيل
وذنبه خفيف، وفيه تجعل كفة المنجنيق التي يجعل فيها الحجر يجذب حتى ترتفع أسفله على
أعلاه ثم يُرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه، فما أصاب شيئاً إلا أهلكه.
الطرسوسي: مرضي بن علي (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م): موسوعة الأسلحة القديمة، تحقيق: كارين
صادر، دار صادر، بيروت، (د.ط)، ١٩٩٨م، ص ١٦٦؛ الزركاش: ابن أرنؤبا الأيوبي
(ت ٨٦٧هـ/١٤٦٣م): الأنيق في المناجيق، تحقيق: إحسان هندي، معهد التراث العلمي، حلب،
(د.ط)، ١٤٠٥هـ، ص ٢٣.

(٣١) ابن شداد: محمد بن عليّ الحلبي (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م): تاريخ الملك الظاهر، المعهد الألماني
للأبحاث الشرقية، بيروت، ٢٠٠٩م، ص ١٢٤-١٢٧؛ بييرس الدوادر: ركن الدين بييرس
المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م): زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد، المعهد الألماني
للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٤٦؛ اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي
(ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، تحقيق: وزارة التحقيقات الحكيمة والأمور الثقافية، دار
الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٤م، (٣/١١٤).

(٣٢) لمزيد من المعلومات حول هجوم المغول على البلاد الشامية وما ألحقوه من خراب البلاد وقتل
العباد؛ انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، (٤/٤٥).

(٣٣) هو الملك المنصور سيف الدين قلاوون بن عبد الله الصالحي الألفي الجركسي المصري. تولى
العرش بعد خلع الأمراء للملك العادل سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس لصغر سنه وذلك سنة
٦٧٨هـ/١٢٧٩م فحارب المغول والصليبيين إلى أن توفي بالقاهرة سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م. ابن
شداد: الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ص ٩٤؛ ابن تغري بردي: يوسف بن عبد
الله المصري (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): مورد اللطافة في من وُلّي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل
محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م، (٢/٣٧).

(٣٤) لمزيد من المعلومات حول معركة حمص وأحداثها وما جرى بها انظر: النويري: أحمد بن عبد
الوهاب البكري (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى،
دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، (٣١/٢٢-٢٥).

(٣٥) القلقشندي: صبح الأعشى، (١٦٤/١).

(٣٦) هو تاكودار بن هولكو بن طولوي بن جنكزخان المغولي الإلخاني. كان نصرانيًا على ديانة والدته، وكان اسمه نيكولاس تاكودار، ولما أسلم تسمى بأحمد تاكودار. تولى عرش السلطنة الإلخانية سنة ٦٨١هـ/٢٨٢م خلفًا لأخيه أبغا خان. قاتله عمه أرغون خان بسبب إسلامه وتقريبه بالسلم مع المماليك، فهزم تاكودار عمه أرغون وأسرته، فاتفق أمراء المغول على خلع تاكودار وتخليص أرغون من الأسر، ففر تاكودار إلى أذربيجان ولكن بعض أتباعه خانوه فقبضوا عليه وسلموه إلى أرغون، فقام الأخير بقتله في جمادى الأولى سنة ٦٨٣هـ/٢٨٤م. رشيد الدين الهمداني: جامع التواريخ، (٢٠٧/٢). محمد سهيل طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٩٧م، ص٥٩٩.

(٣٧) ابن الفوطي: الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، ص٣٨٦.

(٣٨) النويري: نهاية الأرب، (٦٠/٣١)؛ المقرئزي: السلوك، (١٥٧/٢).

(٣٩) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص٥٠٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، (١٦٤/١).

(٤٠) العسقلاني: شافع بن علي (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م): كتاب الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت)، ص٩٨.

(٤١) ابن عبد الظاهر: عبد الله بن رشيد الدين السعدي (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨١هـ/١٩٦١م، ص١٢.

(٤٢) هو معز الدين محمود غازان بن أرغون بن أبغا بن هولكو المغولي. تسمى بمحمود تشبهاً بنور الدين زنكي. تولى الملك سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٤م وأسلم بعد سنة ذلك بسنة عن طريق نوروز التركي وزيره ومدبر مملكته وزوج عمته، ثم دخل أكثر رعيته في الإسلام وخرّب الكنائس وضرب على النصارى الجزية. توفي بقزوين في شوال سنة ٧٠٣هـ/١٣٠٣م، وكانت مدة ملكه ثمان سنوات وعشرة أشهر. أبو الفداء: الملك المؤيد إسماعيل بن علي الأيوبي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م، ص٣٣٠. الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م، (٣٧/٥٢).

(٤٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، (٧٠/٥٢)؛ المقرئزي: السُّلوك، (٣١٩/٢).

(٤٤) الكُرُج: هي المنطقة الواقعة شمال أرمينية، بين البحر الأسود وبحر الخزر، وتُعرف اليوم بجمهورية جورجيا في منطقة القوقاز. محمد طقوش: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص ٣٢٥.

(٤٥) كان على رأسهم صاحب سبب الأرميني الذي أباح له السلطان غازان ضاحية الصالحية من دمشق، فتقدم بفرسانه ووضع السيف في رقاب أهلها حتى بلغت عدّة من قتل وأسر منها تسعة آلاف وتسعمائة نفس، كما أحرق مساجدها ونهب الأموال وسبى النساء والذرية، وجرت على الناس أمور عظام لا يُطاق سماعها. المقرئزي: السُّلوك، (٣٢٣/٢)؛ الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت بعد ٧٣٦هـ/٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر (الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، ج ٩: تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة: المعهد الألماني للآثار، (٢٨/٩).

(٤٦) الصّالحيّة: ضاحية شرق مدينة دمشق، تقع بسفح جبل قاسيون الشهير، وهي عامرة لها سوق وبها مسجد جامع ومارستان ومدرسة، وأغلب أهلها حنابلة. الحموي: معجم البلدان، (١٧٦/٥)؛ ابن بطوطة: محمد بن عبد الله الطنجي (ت ٧٧٧هـ/٣٧٦م): تحفة النظار في غرائب الأسفار (المعروف برحلة ابن بطوطة)، تحقيق: محمد العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٧هـ، ص ٢١١.

(٤٧) النويري: نهاية الأرب، (٢٤١/٣١)؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، (٨٢/٥٢).

(٤٨) المقرئزي: السُّلوك، (٣٢١/٢).

(٤٩) قال الدواداري يصف دخول المغول الجامع الأموي: "وشربوا فيه الخمر، وفجروا بحريم المسلمين، وفعلوا كل فاحشة من العظائم". كنز الدرر وجامع الغرر، (٢٨/٩).

(٥٠) ذكر المقرئزي أنّ ما تمّ نقله من الأموال إلى السلطان غازان كان يُقدّر بثلاثة ملايين وستمائة ألف درهم. السُّلوك، (٣٢٥/٢). وانظر: البرزالي: القاسم بن محمد الإشبيلي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م): المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٦م، (٤٥/٣).

(٥١) الذهبي: تاريخ الإسلام، (٨٨/٥٢).

(٥٢) المقرئزي: السُّلوك، (٣٢٤/٢).

(٥٣) بَلَّاقِع: جمع بَلَّقِع؛ وهي الأرض المقفرة التي لا شيء فيها. الأزهرى: محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، (٣/١٩١).

(٥٤) الذهبي: تاريخ الإسلام، (٨٩/٥٢).

(٥٥) عَكَّا: مدينة حصينة على ساحل بحر الشام (البحر الأبيض المتوسط)، من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمره، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها أحمد ابن طولون (ت ٢٧٠هـ/٨٨٤م). الحموي: معجم البلدان، (٤/١٤٣).

(٥٦) بيبرس الدُّوَادار: زبدة الفكرة، ص ٨١؛ النويري: نهاية الأرب، (٣٠/١٦٣).

(٥٧) المقرئزي: السُّلوك، (١/٥٥٤).

(٥٨) العُجَاج: من التَّعْجِيج، وهو إثارة الغبار. ابن منظور: محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، (٢/٣١٨)، مادة "عجج".

(٥٩) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ١٥٩.

(٦٠) الناصرة: قرية بينها وبين طبرية ثلاثة عشر ميلاً، فيها ولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ومنها أُشتق اسم النصارى. الحموي: معجم البلدان، (٥/٢٥١).

(٦١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ١٦٠؛ العسقلاني: شافع بن علي (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م): حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، مطابع القوات المسلحة، الرياض، ١٩٧٦م، ص ٥٧.

(٦٢) إنطاكية: مدينة كبيرة جنوب تركيا تتبع لواء الإسكندرونة، بينها وبين الحدود السورية مسافة ٣٥ كلم. وكانت تاريخياً تحت الحكم البيزنطي ثم فتحها العباسيون سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م ثم احتلها الصليبيون سنة ٤٩١هـ/١٠٩١م وظلت بأيديهم إلى أن استرجعها السلطان المملوكي بيبرس سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م. عبد الحكيم العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص ٦٧.

(٦٣) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ١١٢-١١٣؛ المقرئزي: السُّلوك، (١/٥٣٧).

(٦٤) قيسارية: مدينة فلسطين تقع على ساحل البحر المتوسط. الحموي: معجم البلدان، (١٠٧/٧).

(٦٥) الدبابات: جمع دبابة، وهي من آلات الحصار، تُعرف أيضًا بالزحافة، سُميت بالدبابة لأنها تدب على الأرض على مهلٍ، وهي عبارة عن آلة تشبه البرج في شكلها، مكونة من أربع طبقات، الأولى من الخشب، والثانية من الرصاص، والثالثة من الحديد، والرابعة من الرصاص الأصفر، تكمن أهميتها في حماية الجنود من مقذوفات العدو النارية، ومن السهام، كما أنها تستخدم أثناء حصار القلاع والحصون، وتحمل النقبون لنقب الأسوار بسلام، وكذلك تحمل عمال الهدم، وهذه الآلة برأسها جزء على شكل رأس الكبش يستخدم في هدم الأسوار وغيرها. العمارة، محمد بن عبدالله، المعجم العسكري المملوكي، عمان: دار كنوز المعرفة، (٢٠١٠م). ص ١٢١.

(٦٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٣٠؛ العسقلاني: حسن المناقب السرية، ص ٥٧، ٨٩؛ الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت بعد ٧٣٦هـ/٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، ج ٨: تحقيق: هانس رومر، القاهرة: المعهد الألماني، (١٠٧/٨).

(٦٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٣٤.

(٦٨) فرسان الإسبتارية: أو فرسان الإسبتارية فرقة عسكرية دينية شاركت في الحرب الصليبية، من أشهر الفرق القتالية ضد المسلمين. الحناوي، مصطفى محمد: عصر الحروب الصليبية؛ الفرسان الإسبتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٧٩ وما بعدها؛ ستيفن رانسيمن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٧م، (٢٤/٣).

(٦٩) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٤٥؛ العسقلاني: حسن المناقب السرية، ص ١٠٤؛ المقرئزي: السلوك، (٣٢/٢).

(٧٠) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٦٠.

(٧١) لمزيد من المعلومات حول استعادة صفد وأحداثها انظر: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٥٤-٢٦٣؛ العسقلاني: حسن المناقب السرية، ص ١١٠؛ المقرئزي: السلوك، (٣٣-٣٥/٢).

(٧٢) المقرئزي، السلوك، ٤٤/٢.

- (٧٣) ابن عبدالظاهر، الروض الزاهر، ص ٢٨١-٢٨٢.
- (٧٤) المقرئزي، السلوك، ٤٤/٢.
- (٧٥) المقرئزي، السلوك، ٤٤/٢.
- (٧٦) يافا: مدينة فلسطينية عريقة على البحر الأبيض المتوسط، وهي من أقدم الموانئ العربية في العالم. ، احتلها الصليبيون سنة ٤٩٢هـ/١٠٩٩م، ثم حررها السلطان المملوكي الظاهر بيبرس سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م. العفيفي، عبد الحكيم: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص ٥١٧.
- (٧٧) العسقلاني: حسن المناقب السرية، ص ١٢٥.
- (٧٨) المقرئزي: السلوك، (٤٨/٢).
- (٧٩) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٩٥.
- (٨٠) العسقلاني: حسن المناقب السرية، ص ١٢٥.
- (٨١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٩٨.
- (٨٢) طرابلس: أي طرابلس الشام؛ ويقال لها أطرابلس، تقع على شاطئ البحر المتوسط. الحموي: معجم البلدان، (٤/٢٥، ٢٨)؛ العفيفي: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، ص ٣٢٨.
- (٨٣) شعبان، محمد أيوب: دولة المماليك تاريخ المماليك السياسي والعسكري، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠١٥م، ص ١٥٦.
- (٨٤) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٣٠٤-٤٠٥؛ المقرئزي: السلوك، (٤٩/٢).
- (٨٥) أرسل السلطان ثلاثة مجموعات عسكرية لأجل ذلك؛ المجموعة الأولى توجهت إلى السويدية في محاولة لقطع الإمداد والتموين عن المدينة من جهة البحر، والمجموعة الثانية توجهت إلى الدريساك للتحكم في المسالك البرية بين أرمينية الصغرى والبلاد الشامية لمنع وصول المدد عبر تلك المسالك، والمجموعة الثالثة اتجهت إلى بلدة أفامية ورابطت جنوب المدينة. ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٣٠٧؛ المقرئزي: السلوك، (٥٠/٢)؛ محمد شعبان: دولة المماليك، ص ١٥٦-١٥٧.
- (٨٦) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٣٠٧-٣١٣؛ المقرئزي: السلوك، (٤٩/٢-٥١).

(٨٧) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ٥٠٠.

(٨٨) عن هذه الرسالة انظر: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٣٠٩-٣١٣؛ العيني: محمود بن أحمد الحنفي (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م، (٣/٢٤)؛ ابن العسال: مفضل بن أبي الفضائل القبطي (ت بعد ٧٥٩هـ/١٣٥٨م): النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: محمد كمال الدين السيد، دار سعدالدين، دمشق، ٢٠١٧م، (١/١٦٣).

(٨٩) عسقلان: مدينة شامية من أعمال فلسطين، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط بين غزة وبيت جبرين. الحموي: معجم البلدان، (٦/٣٢٧). أبو الفداء: الملك المؤيد إسماعيل بن علي الأيوبي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م): تقويم البلدان، تحقيق: رينود، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٩٠٧م، ص ٢٣٩.

(٩٠) النويري: نهاية الأرب، (٣٠/١١١)؛ المقريزي: السُّلوك، (٢/٦٩).

(٩١) قبل أكثر من ثمانين سنة، وتحديدًا في جمادى الآخرة سنة ٥٨٧هـ/١٩١١م استخدم السلطان الفاتح صلاح الدين الأيوبي سياسة الأرض المحروقة في مدينة عسقلان عندما خشي وقوعها في أيدي الصليبيين، حيث أشار عليه المستشارون العسكريون بضرورة تخريب المدينة حتى لا يستفيد منها جيش الحملة الصليبية الثالثة الذي كان مصممًا على احتلالها ليتخذها قاعدة لاسترجاع القدس الشريف. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، (١٢/٨٧٧-٨٧٨)؛ المقريزي: السُّلوك، (١/٢٥٣).

(٩٢) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٣٨٥؛ المقريزي: السُّلوك، (٢/٧٠).

(٩٣) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، (٢/٤٥٢).

(٩٤) ابن تغري بردي: مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، (٢/٣١).

(٩٥) لمزيد من المعلومات حول حصار حصن المرقب انظر: ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٧٧-٨١؛ بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة، ص ٢٥٢؛ المقريزي: السُّلوك، (٢/١٨٩)؛ محمد طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص ١٨٢-١٨٣.

(٩٦) ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور، ص ٨٧-٩٠؛ ابن حبيب: الحسن بن عمر الحلبي

- (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، (١/٩٦).
- (٩٧) ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله المصري (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م، (٧/٣٢١).
- (٩٨) المقرئزي: السُّلوك، (٢/٢١١).
- (٩٩) لمزيد من المعلومات حول استرداد طرابلس انظر: بيبيرس الدوادر: زبدة الفكرة، ص ٢٦٦-٢٦٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، (٧/٣٢١).
- (١٠٠) هو الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون النجمي الصالحي المصري. تولّى السلطنة سنة ٦٨٩هـ/١٢٨٩م فاستفتح ملكه بجهاد الصليبيين بالشام وقام بفتح العديد من القلاع والمدن، منها مدن عكا وصيدا وصور وبيروت، وكانت له آثارًا عمرانية واسعة. كان بطلاً شجاعاً مقداماً، تهابه الملوك، وكان شديد السطوة، أباد جماعة من كبار أمراء الدولة، إلا أنه كان منهمكاً على الذات. قتله مماليكه غدرًا في المحرم سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م وهو دون الثلاثين من العمر، وكانت مدة ملكه ثلاث سنوات وشهر وخمسة أيام. الذهبي: تاريخ الإسلام، (١٨٠/٥٢)؛ ابن كثير: البداية والنهاية، (٣/٣٩٥).
- (١٠١) ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، ١٩٥٤م، (١/١٢٦).
- (١٠٢) المقرئزي: السُّلوك، (٢/٢٢٣).
- (١٠٣) ابن كثير: البداية والنهاية، (٣/٣٦٩).
- (١٠٤) ستيفن رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، (٣/٤٧٥)؛ محمد شعبان: دولة المماليك، ص ٢٣٢.
- (١٠٥) بيبيرس الدوادر: زبدة الفكرة، ص ٢٧٨-٢٨٢.
- (١٠٦) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، (٤/٢٥)؛ المقرئزي: السُّلوك، (٢/٢٢٤).
- (١٠٧) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٣٤.
- (١٠٨) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام، بين قيسارية ويافا، كان بها خلق من المرابطين. الحموي: معجم البلدان، (١/١٥١).

(١٠٩) الإسماعيلية: فرقة باطنية انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر (ت ١٤٣هـ/٧٦٠م)، وكان ظاهرها التشيع لآل البيت ولكن حقيقتها هدم عقائد الإسلام. وعُرفوا بالباطنية لزعمهم أن لظواهر النصوص الشرعية من الكتاب والسنة بواطن خفية وأسرار تخالف الظاهر. الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ، (١/١٩٢). ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٧٢م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر، جدة، ط ١، ١٤٠٢هـ، (١/١٦٤).

(١١٠) صهيون: جبل قرب أورشليم (بيت المقدس) في الجهة الشرقية منه، وقيل هو إسم لبيت المقدس نفسه. البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، ط ١، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، (٣/٨٤٤). أحمد رضا: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م، (٣/٥٠٨).

(١١١) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٢٥٤؛ المقرئ: السلوك، (٢/٣٣).

(١١٢) محمد شعبان: دولة المماليك، ص ١٥٢.

(١١٣) ستيفن رانسيمان: تاريخ الحروب الصليبية، (٣/٣٧٩-٣٨٠).

(١١٤) انظر: ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر، ص ٣٣٧. محمد شعبان: دولة المماليك، ص ٢٠٤.

(١١٥) بيبرس الدوادار: ركن الدين بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م): كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية (أو تاريخ المماليك البحرية)، تحقيق: عبد الحميد صالح، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ١٢٨.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

- ابن الأثير: علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/٢٣٢م): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ابن إياس: محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ/٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، (د.ط)، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.
- ابن بطوطة: محمد بن عبد الله الطنجي (ت ٧٧٧هـ/٣٧٦م): تحفة النظار في غرائب الأسفار (المعروف برحلة ابن بطوطة)، تحقيق: محمد العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، (د.ط)، ١٤٠٧هـ.
- ابن تغري بردي: يوسف بن عبد الله المصري (ت ٨٧٤هـ/٤٦٩م):
- مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧م.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٠م.
- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت ٧٢٨هـ/٣٢٨م): مجموعة الفتاوى، مراجعة: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط ٢، ٢٠٠١م.
- ابن حبيب: الحسن بن عمر الحلبي (ت ٧٧٩هـ/٣٧٧م): تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م.
- ابن حزم: علي بن أحمد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/١٠٧٢م): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ للنشر، جدة، ط ١، ١٤٠٢هـ.
- ابن شداد: محمد بن علي الحلبي (ت ٦٨٤هـ/٢٨٥م):
- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د.ط)، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.
- تاريخ الملك الظاهر، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ٢٠٠٩م.
- ابن عبد الظاهر: عبد الله بن رشيد الدين السعدي (ت ٦٩٢هـ/٢٩٢م):

- تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة للثقافة، القاهرة، (د.ط)، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م.
- ابن العبري: غريغوريوس بن أهارون الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الرائد اللبناني، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- ابن العسال: مفضل بن أبي الفضائل القبطي (ت بعد ٧٥٩هـ/١٣٥٨م): النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، تحقيق: محمد كمال الدين السيد، دار سعدالدين، دمشق، ٢٠١٧م.
- ابن فضل الله العمري: أحمد بن يحيى الدمشقي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م): التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
- ابن الفوطي: عبد الرزاق بن أحمد الصابوني (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٢م): الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- ابن القلانسي: حمزة بن أسد التميمي (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م): ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار الإحسان، القاهرة، ١٩٨٣م.
- ابن كثير: إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، تحقيق: أحمد أبو ملحم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ابن منظور: محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- ابن الوردي: عمر بن مظفر الدمشقي (ت ٧٤٩هـ/١٣٧٨م): تاريخه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- أبو الفداء: الملك المؤيد إسماعيل بن عليّ الأيوبي (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م):
 - تقويم البلدان، تحقيق: رينود، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٩٠٧م.
 - المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ أبي الفداء، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٨م.

- الأزهري: محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠م): تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الأنصاري: عمر بن إبراهيم الأوسي (ت نحو ٨١٥هـ/٤١٢م): تفريغ الكروب في تدبير الحروب، تحقيق: جورج سكانلون، (د.ط)، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م.
- البرزالي: القاسم بن محمد الإشبيلي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م): المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي، تحقيق: عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- البكري: عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٤م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة، ط١، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.
- بيبرس الدوادار: ركن الدين بيبرس المنصوري (ت ٧٢٥هـ/١٣٢٤م):
- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٨٧م.
- كتاب التحفة الملوكية في الدولة التركية (أو تاريخ الممالك البحرية)، تحقيق: عبد الحميد صالح، الدار المصرية، القاهرة، ١٩٨٧م.
- الجوهري: إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٥٠هـ/٩٦١م): الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار القلم، دمشق، ط٥، ١٩٩٩م.
- الدواداري: أبو بكر بن عبد الله بن أبيك (ت بعد ٧٣٦هـ/٤٣٢م): كنز الدرر وجامع الغرر؛ ج٨: (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر)، تحقيق: هانس رويمر، القاهرة: المعهد الألماني. ج٩: (الذرة الزكية في أخبار الدولة التركية)، تحقيق: أولرخ هارمان، القاهرة: المعهد الألماني للأثار.
- الذهبي: محمد بن أحمد الدمشقي (ت ٧٤٨هـ/٣٧٤م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
- رشيد الدين الهمداني: فضل الله بن عماد الدولة (ت ٧١٨هـ/١٣١٨م): جامع التواريخ (أو تاريخ غازان خان)، ترجمة ودراسة: فؤاد عبد المعطي الصياد، الدار الثقافية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

سياسة الأرض المحروقة ضد المغول والصليبيين وأثرها على النشاط السياسي والعسكري في دولة المماليك البحرية (١٢٥٠م-١٢٨٢م)

- الزردكاش: ابن أرنُبغا الأيوبي (ت ٨٦٧هـ/٤٦٣م): الأنيق في المناجيق، تحقيق: إحسان هندي، معهد التراث العلمي، حلب، (د.ط.)، ١٤٠٥هـ.
- الشهرستاني: محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ/١١٥٣م): الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- الصفدي: خليل بن أبيك المصري (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م): أعيان العصر وأعيان النصر، تحقيق: عليّ أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م.
- الطرسوسي: مرضي بن عليّ (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م): موسوعة الأسلحة القديمة، تحقيق: كارين صادر، دار صادر، بيروت، (د.ط.)، ١٩٩٨م.
- العسقلاني: شافع بن علي (ت ٧٣٠هـ/١٣٣٠م):
- حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، مطابع القوات المسلحة، الرياض، ١٩٧٦م.
- كتاب الفضل المأثور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت.).
- العيني: محمود بن أحمد الحنفي (ت ٨٥٥هـ/٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- القلقشندي: أحمد بن عليّ المصري (ت ٨٣١هـ/٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٨١م.
- المقرئزي: أحمد بن عليّ المصري (ت ٨٤٥هـ/٤٦١م): السُّلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
- النويري: أحمد بن عبد الوهاب البكري (ت ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م): معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- اليونيني: قطب الدين موسى بن محمد البعلبكي (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م): ذيل مرآة الزمان، تحقيق: وزارة التحقيقات الحكيمة والأمر الثقافية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٥٤م.

ثانياً: المراجع:

- أحمد: عبد الرحمن نواف: الموجز في التاريخ الإسلامي، الجنادرية للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١٥م.
- أيوب: محمد شعبان: دولة المماليك تاريخ المماليك السياسي والعسكري، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠١٥م.
- حلاق: حسان وعباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية؛ المصطلحات الإدارية والعسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- الحناوي: مصطفى محمد: عصر الحروب الصليبية؛ الفرسان الإبتتارية ودورهم في الصراع الصليبي الإسلامي، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- رضا: أحمد: معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ط)، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.
- رانسيان: ستيفن: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط ١، ١٩٦٧م.
- الزركلي: خير الدين: الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨٠م.
- الصلابي: علي محمد: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، مؤسسة اقرأ، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- طقوش: محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.
- العسيري: أحمد معمور: موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- العفيفي: عبد الحكيم: موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية، أوراق شرقية للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.
- العميرة، محمد بن عبدالله، المعجم العسكري المملوكي، عمان: دار كنوز المعرفة، ط ١، (٢٠١٠م).